

واضح سيدنا نذوي

من
صناعة الموت
إلى
صناعة القرارات

ماتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامي العلمي
ندوة العلماء - ص . ب ١١٩
لكهنو - الهند

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ١٣٨

٥١٤٠٠ - ١٩٨٠م

مطبعة ندوة العلماء ، اسكهنؤ ، الهند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تقديم

داء المسلمين الأكبر اليوم هو كثرة الكلام سواء كان في شؤون تفتقر إلى الكلام أو في شؤون لا تفتقر إليه، وهم يستخدمون وسيلة الكلام هذا لحل جميع قضاياهم، ويريدون به الوصول إلى الأهداف والغايات، سواء كانت هذه الأهداف والغايات دينية أو كانت دنيوية، وسواء كانت فكرية أو كانت سياسية. فكلما يجد لهم جديد يسرعون إلى الكلام بصنوفه المختلفة، فالكلام في الندوات المسائية المحدودة، وكلام من منابر الخطابة، وكلام في صفحات الجرائد و في برامج الاذاعة، وكلام في جلسات المؤتمر و عن طريق القرارات .
و إذا كان الأمر قاصراً بين الأفراد والشخصيات فالكلام يتضمن الملام الشديد، والاعتقاد القبيح، ثم التفتأتم .
لقد كان ذلك في السابق قاصراً بين الأفراد والشخصيات ،

فكان الأمر قاصراً في كلام يقتصر في حدودهم الفردية ، ولكنه تجاوز منذ زمان وتعدى إلى محيط الدول والحكومات ، في قيادة من تخضع لهم هذه الحكومات ، فسارت هي أيضاً نفس المسار ، تستخدم الكلام باصنافه ، وتكتفي به لحل قضايا بلادها العvisية و غير العvisية ، فتقوم بالدعايات الفارغة ، وبالكلام وحده ، فما ترى في منطقتها يحدث أمر جديد إلا وتبدأ البيانات الصاخبة ، ومقالات ضافية ، وإذا كان أمر من أمور الخلاف فكلمات النقد والتجريح ، وألفاظ التشنيع والتديد ، وتقدم الصحافة والاذاعة - وهما أد اتان للحكومة - فتؤديان دورهما في الوغى ، وكل ذلك تحت توجيه الحاكم سيد البلاد وهو « الزعيم الأواحد » و« الحاكم الأمثل » ، يعمل باسم الشعب ، ويتكلم باسم الشعب ، ويرى بعين الشعب ، أما بقية الناس فهم الدماء ، وجفاه كجفاه السيل .

ولكن المصيبة أن الحكم في بلاد الاسلام ليس في يد رجل واحد أو اثنين أو ثلاثة ، أو . . . بل الحكام فيها كثيرون وجميعهم « أواحدون » « أمثلون » وباختلاف عددهم تختلف

آراءهم و اتجاهاتهم ، و كل هذه الآراء و الاتجاهات طبعاً
فريدة ومثلى ، وكلها تجرد وسائل الاعلام فى خدمتها ، لأن هذه
وتلك كلها للشعب ، وفى سبيل الشعب ، فما تلبث إلا وتجرد الأمر
يتبلور إلى الخصام .

و إذا كانت الموضوعات جادة و رزينة فجمال الكلام
هى المؤتمرات ، و نتيجة المؤتمرات هى القرارات ، و تنتهى
القضية بسلام .

و قد كثرت هذه المؤتمرات و القرارات أخيراً
بل أصبحت موضة عليبة و فكرية و دينية ضخمة و ضخمة ، تتجمل
و تزدان بها الحكومات و الجمعيات و المؤسسات ، و تزيد بها
إلى سجل مآثرها و مفاخرها صفحات بيضاء من العمل
المفيد الجليل ،

أما العمل الصامت الدؤب و الجهد المضى المغمور
الصبت ، و الاخلاص لله و لرسوله وللمؤمنين ، فذلك من أعمال
الرجعيين الذين خلوا من قبلنا ، و تكفلوا عنا ببذل الجهود و القيام
بالجهاد ، لقد كانوا يلجؤون إلى صناعة الموت لأن حاجتهم
فى الحياة كانت قليلة ، أما نحن ففى أرقى حضارة فى التاريخ ،

و أجل مدينة في الزمان ، فلنا مسؤوليات ضخمة في الحياة وفي الاستفادة بهذه الحضارة ، فما لنا وللوت ، ودع عنك أن يكون هذا في حساب الكرامة و القيم الفاضلة ، فالسبيل الامثل لنا الاكتفاء بالمؤتمرات ، و صناعة القرارات .

نحن أمة كانت في أولها تختار صناعة الموت ، و أصبحت اليوم تكتفي بصناعة القرارات ، وهو الموضوع الذي يتحدث عنه بإيجاز الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي رئيس تحرير «الرائد» ومشارك رياسة التحرير للبعث الاسلامي في مقال له نشرته مجلة «البعث الاسلامي» ، ولبلاغة المقال وقوته أردنا أن ينشر في صورة رسالة منفردة ، رجاء أن يعم النفع ، والله من وراء القصد ، و منه التوفيق و القبول .

محمد الرابع الحسني الندوي ١٠ - ١٤٠٠ هـ

دار عرفات ، راي بريلي



من صناعة الموت إلى صناعة القرارات

من الأسلوب الصحفي المختار في البلاد العربية اليوم
تمجيد زعمائها و التّطليل لهم و جعلهم عمالقة التاريخ ، وقد
يدهش من يطالع صحف البلدان العربية التي تخضع لنظم
استبدادية اشتراكية ، ويحار بين « العمالقة » و « الزعماء
المتقذين » و « المقادير المغاوير » و صانعي التاريخ ، و تزداد
دهشته عند ما لا يجد هذه البطولات و أعمال المجد والمفاخرات
المنسوبة إليهم إلا دعاوى لا أساس لها ، بل يجدها تتعارض
مع الواقع ، فيحتار و يتعجب كيف تعيش هذه الدول في
عالم الأحلام .

وقد ثارت في نفسي نفس الخواطر وأنا أتصفح صحفا
عربية فجعلتني أفكر و أتأمل عن المسلمين بصفة عامة ، والعرب
بصفة خاصة ، باعتبارهم قادة العالم الاسلامي إثرائهم الديني

و رصيدهم التاريخي ، ودورهم الطبيعي في تحرير الشعوب و الأمم من عبوديات كانت تخنقها و تقضى عليها ، أمة ذات تاريخ مجيد ، بل أمة تستحق أن تعتبر صانعة التاريخ ، رائدة تحرير الانسان و الشرف الانساني ، أمة الحال و المستقبل ، لأن العرب يحملون مفاتيح الحياة و يستولون على كنوز الارض بما وهبهم الله من ذخائر و مواهب طبيعية و بشرية هائلة ، تعجبت كيف يخضعون لقيادات مضللة ، وكيف يحركهم و يعيث بهم رجال يحسبون أهم ليوث الوغى ، و هم في الواقع ليوث المسارح .

تركت الصحف جانبا و ظلت أنامل في المسلمين عامة و في العرب خاصة كيف تحولوا من أمة الصول إلى أمة القول .

كانت الطبيعة العربية و هي نواة العابضة الاسلامية تنسم بالجن و العمل ، أمة كانت تصنع الأعاجيب و تحول مجرى الحياة ، و تسخر القلوب ، أمة خرحت من الصحارى و الجبال ، من واد غير ذى زرع ، بما شرفها الله برسالة الاسلام فانطلقت إلى آفاق بعيدة في الشرق و الغرب و خضع العالم كله لرسالتها ، و طبقت ثقافتها ، و انتشرت علومها و آدابها تقود العالم

وتستولى على خزائن الأرض ، حتى قال أحد الخلفاء العرب
المسلمين وهو يخاطب السحاب قولته التاريخية المشهورة الخالدة
التي تدل على امتداد رقعة المملكة الاسلامية و اعتزاز خليفة
المسلمين بها ،

أمة أنجبت في التاريخ قادة حركة العلم و الثقافة و الدين
و عمالقة في التدبير و الفكر و السياسة ، و أصحاب همم
عالية و قوة محرّكة ، تسير بها قافلة الحياة الاسلامية الشاملة
المنسقة غير المتجزأة ، تنتقل القيادة من جيل إلى جيل
و من طبقة إلى طبقة و من جنس إلى جنس ، إذا كلت يد
تسلمت القيادة يد أخرى ، كما يتسلم قائد من قائد في ساحة
القتال .

كان السبق في أيدي العرب ثم انضم إليهم الفرس
و الأتراك و الأكراد و الأفارقة و الهنود ، و تراوحت
مراكز قوة الاسلام و منطلقات الدعوة إلى الاسلام
و الدفاع عنه ، و مراكز الاشعاع من بلد إلى بلد ، و ظلت مكة
المكرّمة ، مهبط الوحي و مهد الاسلام ، تهوى إليها القلوب و تنجي

إليها الثمرات من كل شئ، و شجرة الاسلام توفى اكلها في كل حين بأمر ربها .

كنت أنصفح الصحف فررت بأخبار البطش و التنكيل و قتل المسلمين الأبرياء، في أفغانستان و في أماكن أخرى في العالم، حيث يكافح المسلمون ضد قوى الظلم، و الطغيان و لا يجدون لهم معيماً إلا أصوات الاحتجاجات و القرارات، فتجددت في ذهني قصص البطولات التي سجلها التاريخ الاسلامي عند ما ثارت حمية الحكام المسلمين على انتهاك حرمة أو خذلان مسلم وهجراً لاغاثة الملهوف، و ذكرت قصة الخليفة العباسي المعتصم الذي سار إلى أنقره بجيش ضخم، عند ما استغاثه المظلومون و حاصر عمورية عام ٥٢٤٢ لمعاقبته الأمبراطور البيزنطي، فلم يعد إلى سامراء إلا بعد الانتصار الساحق في عمورية، فمدحه أبو تمام بقصيدته التي مطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد و اللعب

و تجددت لي مآثر نور الدين زنكي و قائده العسكري

العظيم صلاح الدين الأيوبي الذين قصصا ظهر الصليبيين ،
 و أوقفوا الزحف الصليبي إلى البلاد الاسلامية و طهروا البلاد
 الاسلامية من الغزاة ، تذكرت صلاح الدين الأيوبي فتجرت
 لي مواقفه البطولية و تحرقه لنصرة المسلمين ، و قتال أعدائهم
 من الفرنج ، و الذى نذر في مرضه لئن شفاه الله ليصرفن
 هنته كلها إلى قتال الفرنج و لا يقاتل مسلماً ، و ليجعل أكبر
 همه فتح بيت المقدس ، و لو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه
 من الأموال و الذخائر ، و ليقتل بيده صاحب الكرك الذى
 أغار على قافلة المسلمين و تنقص الرسول ﷺ بقوله :
 « دعوا محمداً لينصركم » ، و قد وفى صلاح الدين نذره ففتح
 المقدس و قتل ريجي نالديده قائلاً : « ها أنا انتصر لمحمد ﷺ .
 لقد واجه صلاح الدين في أوقات رهبة جيوش أوربا
 كلها التى كانت تجمش بالعصية الدينية فلم يهدأ له بال قبل أن
 يطهر البلاد الاسلامية و يستعيد الأرض المقدسة .
 و ظهر الملك الظاهر بيبرس على مسرح التاريخ الاسلامى
 بصدقه و عزيمته و جمعه بين القول و العمل فهزم النر

بفرسانه المماليك في وقعة الفرات في عام ٥٦٥٨ هـ ، فهزموهم
شر هزيمة .

لقد تراكت الغيوم على العالم الاسلامي في قنرات كثيرة
من التاريخ و طمع الاعداء في مهد الاسلام ، و لكن الامة
الاسلامية انجبت اكفاء لهذه المحن الذين لم يصمدوا امام
الاعداء فحسب بل اجلوه من الوطن الاسلامي و توغلوا في
بلادهم و عقر دارهم .

ظهر على مسرح التاريخ العثمانيون ، فدك محمد بن مراد
أوربا بفتح القسطنطينية في عام ١٤٥٣م و صار العثمانيون موضع
ثقة المسلمين و قيادتهم و تملكوا القيادة البرية والبحرية ،
فكانت أوربا ترتعد منهم ، و رغم كل دسائس و أخطار ،
و تسرب الوهن في الخلافة العثمانية في آخر عهدها لم يساوم
حكامها مع الاعداء ، و وقف السلطان عبيد الحميد موقفه
التاريخي إزاء اليهود في مسألة فلسطين عند ما عرض عليه
هرتزل اليهودي كميات كبيرة من الاموال مقابل استيطان اليهود
فقال : إن أرض وطننا لا تباع بالدراهم ، إن بلادنا التي

حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بها دون أن نبذل أكثر مما بذلوا من دماء في سبيلها .

هذه ومضات منتشرة ، و لمحات مشتقة من التاريخ المجيد ، و ما هي إلا غيضاً من فيض ، فان التاريخ كله حافل بالبطولات ، إنه تاريخ الانتباه إلى الاسلام والتضحية ، تاريخ إعلاء كلمته ، و الاستماتة في سبيله . تاريخ غيرة وأنفة وإباء في حماية الاسلام و كسر شوكة أعدائه ، تاريخ العمل والصدق والوفاء ، والبطولة ، والبطولة لا تعرف إلا بالاقدام ، لا بالدعوة و الدعاية ، كما يحاول القادة المعاصرون ، أبطال الجولان و القنيطره ، ان يكسبوا و يتمجدوا بها ، لقد تغيرت القيم اليوم وتغيرت المقاييس فأصبح الانتباه إلى الاسلام رجعية ، وأصبح الصدق في القول والعمل تخلفاً و جهالة ، وصار التزوير والتشويه دهاماً و حكمة و سياسة . حلت الانتهات إلى القوميات ، و السلالات ، و الانتهات إلى أحزاب و دعوات ، و الانتهات إلى أشخاص ، و أفراد ، محل الانتباه إلى الاسلام .

تغيرت القيم و المقاييس فخل الخبر على الورق ،
محل الدم في سبيل الشرف ، و كلمة الحق .

إن ركب العلم و الثقافة الغربية و انفتاح كنوز الأرض
في العالم الاسلامي ، قد قلب الموازين و زاد فيه منابر القول
و مراكز الدعاية و الدعوى ، وفتح فرص اللقاءات ،
و تدفقت منه الندوات و المؤتمرات ، و الحلقات ، فلا
ينفض مجلس إلا الاجتماع في مجلس ، و لكل مجلس مدارات ،
و توصيات ، و قرارات .

أكوام من القرارات ، و أكداس من المؤتمرات ، و نضيف
إليها أكداماً مكدسة من الذخائر الحربية و المعدات ، التي
تكدس في البلدان الاسلامية بدون عزم و ارادة حقيقية
لخوض معركة أو مواجهة عدو .

معركة في كل مكان ، و لكن المعركة لترديد القول
و رفع المطالب ، و الدعاوى و شرح المواقف ، و إعداد
خطة تسجل في دفتر المؤتمرات و يختم عليها لتكون وثيقة تاريخية
تدل على عزم القيادة ، و معارك في الصحف و الاذاعة
و التلفزيون و مسابقات كلامية .

إن هذه الأكوام من القرارات التي تتخذ في المؤتمرات سواء كانت سياسية أم كانت دينية ، سواء كانت مؤتمرات العلماء و رجال الدين ، أم كانت مؤتمرات رجال السياسة والحكم ، لو جمعت و وضعت في مكان لمكونت بباية ناطحة للسماء من احتجاجات ، و مقررات و خطط عمل لا ترى النور ، و لا تنفذ حتى في البلاد التي تتخذ فيها .

نشرت إحدى الصحف العربية صورة كاريكاتورية تصور الواقع الاسلامي ، و تبدي الصورة جهازاً كبيراً مصنوعاً في أمريكا مكتوب عليه « مصنع لصناعة القرارات ، حقاً إن العالم المتحضر يصنع الأسلحة الفتاكة ، و يصنع الكواكب الصناعية و يغزو القمر أما العالم الاسلامي بمواهبه و قدراته الهائلة فلا يقوم إلا بصناعة القرارات .

ترى ، ينقص العالم الاسلامي الموارد ، أو القوى البشرية ، أو القادة ، والعلماء ، أو الحكام من أصحاب سيادة ، و حرية ، أو شعوب تؤيد قرارات الحكام أو ذخائر حربية ؟ كلا ! إن العالم الاسلامي غني بالموارد ، غني بالطاقات البشرية ، غني بالأسلحة التي كدسها من كل جهة .

كل ما ينقص العالم الاسلامى هو قوة الارادة و العمل ،
و الصدق ، ينقصه علماء مخلصون ، و ينقصه حكام تصدق
فيهم الظنون .

إن أسلوب الاحتجاج ، و اتخاذ القرارات في الاحتجاج ،
و قضاء الوقت في التشاور ، و اللقاءات ، أسلوب الضعف
و أسلوب الوهن ، و قد جرب المسلمون في تاريخهم الطويل
أن احتجاجاتهم و قراراتهم لم تحرك ساكناً ، و لم تغير
موقفاً ، و صدق عليهم المثل العربى
« أرسعهم سبأ و أودوا بالابل » .

لقد وصل العالم الاسلامى إلى مرحلة لا يحتاج فيها إلى مصانع
أدوات ، و لا مصانع أسلحة ، فان الأدوات و الاسلحة تتوفر في
السوق ، و تشتري بالمال ، و قد تكدست في بلاده المختلفة ، إن الشئ
الوحيد الذى يحتاج إليه هو صناعة الموت ، و هو بضاعة
لا تشتري ، و هو البضاعة المفقودة و هى ضالة المسلم ،
صناعة صنعت الاعاجيب ، و تملكك على خزائن الأرض ،
و هى مفتاح القيادة ، و هى التى أنجبت الأبطال الذين تتمجد
بهم و تمتاز ، و الذين صنعوا التاريخ و ندين لهم بفخر
و اعتزاز .